السنة السادسة وأربع مئة

فيها مَنَعَ فخرُ الملك[١] يومَ عاشوراء من النَّوح مخافةَ الفتنة[٢].

وكان الشريف الرضي [أبو الحسن محمد بن الحسين بن محمد الموسوي] قد تُوفِّي في خامس المحرَّم، فاشتغلوا به.

وكان قد وقع بالعراق وباءٌ عظيم، خصوصاً بالبصرة، حتى عجز الحفَّارون عن حفر القبور[٣].

وفي يوم السبت ثالثَ صفر قُلِّد الشريفُ المرتضى نقابةَ الطالبيين والحجِّ والمظالم بإشارة سلطان الدولة وفخر الملك، وكتب القادرُ تقليدَه، وجمع الناسَ في دار المملكة، وحضر فخرُ الملك والناسُ على طبقاتهم، فكان في عهد الخليفة: هذا ما عَهِدَ عبد الله أبو العباس أحمد الإمام القادر بالله أميرُ المؤمنين إلى علي بن الحسين بن موسى العلوي، حين قرَّبَتْه إليه الأنسابُ الزكية، وقدَّمَتْه لَدَيه الأسباب القوية، واستظلَّ معه بأغصان الدوحة الكريمة، واختصَّ عنده بوسائل الحرمة الوكيدة، وكان راجعاً من طيب المناصب والعناصر، واستحكام الوصائل والأواصر، إلى ما يفضلُه بالمزيَّة، ويقتضي له توفير العطية، ويُحِلُّه في دولة أمير المؤمنين حلولَ التخصيص، ويدخلُه فيها دخولَ التحقُّق حين أوجب له الاستقلالُ المحبورُ، والاضطلاعُ المشهورُ، تَقَلُّدَ الأعمالِ وولايتَها، وتحمُّلَ الأثقالِ وكفايتَها، وحين رُوعيَ لشيخه الحسين رحمه الله حقوقَ الموالاةِ التي قدَّمَها، والطاعةِ التي أسلفَها، وخدمتِه الخلفاء المهديين صلوات الله عليهم أجمعين، وحين مهَّدَ له سلطانُ الدولة عند أمير المؤمنين الأواخي[٤] الكثيرة، وقرَّر لديه المنزلة الكبيرة، ونبَّه على عقلِه الأصيل، ورأيِه الرَّصين، وعلمِه الراجح، وفضلِه الزائد، وحين أثنى عليه فخر الملك ـ أبو غالب مولى أمير المؤمنين ـ الثناءَ الطويل، وذكره بالجميل، وشهد له بالخِلال الحميدة، والخِصال الرشيدة، والمقاصد السليمة، واستدعى له من حضرة أمير المؤمنين الإحسانَ الذي يستحقُّه بالسالف من ذرائعه، والقديم من وسائله، قلَّده الحجَّ الذي هو من معالم أمور الدين، والمظالمَ التي

(١) في (م١): فخر الدولة.

(٢) الخبر في المنتظم ١٥/ ١١١ ، والكامل ٩/ ٢٦٣ .

(٣) الخبر في المصدرين السابقين.

(٤) الأواخي، جمع آخية: وهي العروة التي تُشدُّ إليها الدابة. الصحاح (أخو).

هي من أكبر مصالح المسلمين، ونقابةَ الطالبيين، والمتعلقة بالملاحظة من أمير المؤمنين، في شرق الأرض وغربها، وقريب الأعمال وبعيدها، متمسِّكاً بالثقة في ديانتِه، والنُّصرةِ في أمانتِه، ومعتقداً أنَّ الإمام قد أحكمَتْهُ أحكامُ التثقيف والتهذيب، ووَثَّقَتْهُ أقسام التحنيك والتجريب، وأنَّ الصَّنيعَةَ عنده واقعةٌ في الكفؤ الوفي، والعدل الولي، والرَّحِم الواشجة التي تُدنيه، والأرومة الشامخة التي تُعليه، والدواعي التي تُوجِبُ له مزيدَ الاختصاص، وفضيلةَ الاستخلاص، والله يُمِدُّ أمير المؤمنين بالتوفيق المُبلِّغ إلى الصواب، والتأييدِ الموصِلِ إلى الأغراض، ويُعينُه على ما يتوخَّاه من اختيار الوُلاةِ الصُّلحاء، والكُفاةِ النُّصحاء، وحسْبُ أمير المؤمنين اللهُ ونِعْمَ الوكيل. وقُرِئ عهدُ سلطان الدولة بمعناه.

وفي آخر صفر ورد الحاجُّ، وقد تلِفَ منهم خلقٌ كثيرٌ من العطش، كانوا عشرين ألف جمل، فوصل منها ستةُ آلاف جمل، وهلك الباقي[1].

وفيها وصل سلطان الدولة من شيراز إلى الأهواز، فكتب إلى فخر الملك يستدعيه، فاستشعر من أبي الخطَّاب، وكتب يطلب مردوست، فقدم عليه فعرَّفه إشفاقَه من أبي الخطاب، ثم انحدر إلى الأهواز ومعه المناصح الجُرْجاني، واستحلف له أبا الخطاب، فلمَّا وصل إلى الطِّيبِ[2] جاءته كتائب سلطانِ الدولة تقول: قد كاتبناكَ بالتعجيل إلى حضرتِنا، وحاجتُنا إلى الاجتماع معك ماسَّةٌ، وبَلَغنا أنَّ الأولياء بواسط خاضوا في منعِكَ من الإلمامِ إلينا، فإن كان ذلك كذلك فنحنُ معكَ بين أن تُخالفهم وتُبادِرَ إلى ما أمرناك به، وهو الأَولى، أو تتأخَّر، فالضرورة تدعونا إلى المسيرِ بنفوسنا. فسار مُجِدًّا، فلمَّا وصل الأهواز تلقَّاه سلطان الدولة والعساكر، وأكرمَه واحترمَه، ولمَّا نزل جاءه أبو منصور مردوست، وجمع بينه وبين أبي الخطاب ليلاً، ومشى فخرُ الملك إليه، وعاتبه أبو الخطاب، وتلطَّف به فخرُ الملك، وتحالفا وتعاهدا، وصلحتِ الحالُ صلاحاً تامًّا، وكانت المِيرةُ قد ضاقت على سلطان الدولة، وعدِمَتِ الأقواتُ، فكاتب فخرُ الملك الأطرافَ، وجلب الغِلالَ والميرةَ، فاتَّسع الشيءُ على الناس، ثم حملَ فخرُ الملك على سلطان الدولة الهدايا والتُّحف والطُّرف،

(١) الخبر في المنتظم ١٥/ ١١٢ .

(٢) الطِّيب: بليدة بين واسط وخوزستان. معجم البلدان (طيب).

وحمل إلى جميعِ الحاشيةِ المالَ والثيابَ ومراكبَ الذهب والملابسَ الفاخرة، حتى قالوا: ما لَبِسْنا مثل هذه. وأقام شهرين ونيِّفاً وعشرين يوماً، ثم وقع الاتفاق على عودِه إلى بغداد ليُقرِّر الأمور، وخلعَ سلطانُ الدولة عليه الخِلَعَ الجليلة في شعبان بالسيف والمِنْطَقة، وعليها الجواهر والقَباء، وحملَه على مراكب الذهب، وقادَ بين يديه الجنائب[1]، على كلِّ مركبٍ ألفُ مثقالٍ من الذهب، وخلع على جميع أصحابه الخِلَعَ النفيسة، وحُمِلوا على الخيل بمراكب الذهب.

وفيها وصل الأميرُ أبو الفوارس ابنُ بهاء الدولة إلى محمود بن سُبُكْتِكين من كرمان إلى خراسان، فتلقَّاه وأحسن إليه، وأقام عنده أياماً، وجهَّزه بالمال والعساكر إلى كرمان، ولم يرضَ أمورَه، وبدَتْ منه أسبابٌ أوجبَتْ إبعادَه عنه، فإنه كان إذا ركب إلى خدمة محمود يركب بالمنجوق، ويدخل عليه والدَّيلم يمشون بالسلاح بين يديه، فمنعه من ذلك، وجرى بينه وبين دارا بن قابوس بن وَشْمَكير ما جرى، بأنِ افتخر عليه أبو الفوارس وتعاظم فسقط من عين محمود.

وفيها غزا محمود بن سُبُكْتِكين بلادَ الهند على رسمِه، فضلَّ أدِلَّاؤه عن الطريق، وحصل في مياهٍ فاضت من البحر، فغرق كثيرٌ ممَّن كان معه، وخاض الماءَ أياماً بنفسه، وتخلَّص وعاد إلى خراسان، وكان محمود يركب الأخطار في أسفاره، ويهلك معه الخلق الكثير من الجند والمطوِّعةِ، والجمالِ والخيلِ وغيرِهما، ورُبَما صحِبَه خمسون ألفاً وأكثر، فيعود في خمسة آلاف، ولمَّا عزم على هذه الغَزاة تخوَّفَ من كثرة الأنهار، وضِيقِ المسالك، فقصد مدينةً على بابها نهرٌ عريض لا يُمكن الخوضُ فيه، فتقدَّم بين يديه جماعةٌ فغرِقوا، فخاض بنفسه معتمداً على السلامة في معظم أوقاته، وقصد أن يطوي خبرَه عن أهل البلد، فخاض بعيداً عنه، وزاد الماءُ في ذلك الوقت، فغرق من الناس والجِمال شيءٌ كثيرٌ، وحمل الماءُ ذلك إلى باب البلد، فقال أهله: هذهِ واللهِ مخائلُ محمودٍ ومكايدُه. فاخذ الملِكُ ما قَدِر عليه من الأموال والجواهر والأهل وصعد الجبل، وكذا فعل أهلُ البلد، واعتصموا بالقلاع، ووصل محمود إلى

(١) الجنائب، جمع جَنيبة: وهي الدابة التي تُقاد، ويقال: فلانٌ تُقاد له الجنائب بين يديه؛ إذا كان عظيماً. المعجم الوسيط (جنب).

المدينة وقد غَرق أصحابُه، ولاقى شدائدَ، فلم يجِدْ فيه أحداً، وقد أحرقوا الأقوات والعلوفات، فرجعَ ولقيَ في طريقه أهوالاً، حتى ورد خراسان.

وفيها ولِّي الحاكمُ ساتكين سهمَ الدولة دمشقَ، وعزلَه سنة ثمانٍ وأربع مئة.

ولم يحجَّ أحدٌ في هذه السنة خوفاً من العرب والعطش [والجوع][1].

وفيها تُوفِّي

أحمد بن محمد بن أحمد[2]

أبو حامد، الإسفراييني، الفقيه، الشافعي، قدم بغداد وهو حَدَثٌ، وأقام مشتغِلاً بالعلم، حتى انتهت إليه الرياسة، وعظُمَ جاهُه عند الملوك والعامّة، وكان يُدرِّس في مسجد عبد الله بن المبارك في قطيعة الربيع، ويحضر درسَه من المتفقِّهة سبعُ مئة، وكان الناس يقولون: لو رآه الشافعيُّ فرح به. وكان يُحمل إليه من البلاد الزَّكوات والصدقات فيُفرِّقها، ويُجري على فقراء أصحابه في كلِّ شهرٍ مئةً وستين ديناراً، وأعطى الحاجَّ في بعض السنين أربعة عشر ألف دينار، وكان يتوسط بين القادر ومحمود بن سُبُكْتِكين، وكان مُقدَّما عند عميد الجيوش، وفخر الملك، وتُوفِّي ليلة السبت لإحدى عشرة ليلةً بقيت من شوال، وله ثلاثٌ وستون سنة، ودُفِن بداره، ثم نُقِلَ إلى باب حرب سنة ست عشرة وأربع مئة، وكان ثقةً دَيِّناً صالحاً.

عبيد الله بن محمد[3]

ابن أحمد بن علي بن مِهران، أبو أحمد، الفَرَضي، المقرئ؛ قال منصور بن عمر الكَرْخي: لم أرَ مَنْ تعلَّم العلم للهِ خالصاً لا يشوبه شيءٌ من الدنيا غير أبي أحمد الفرضي. وكان أورعَ الناس، يبتدئ كلَّ يومٍ بتدريس القرآن، ويحضر عنده الشيخُ الكبيرُ

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) وحدها.

(٢) تاريخ بغداد ٤/ ٣٦٨ - ٣٧٠، والمنتظم ١٥/ ١١٢ - ١١٣، والأنساب ١/ ٢٣٧ - ٢٣٨. وينظر السير ١٧/ ١٩٣.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٨٠-٣٨١، والمنتظم ١٥/ ١٣ - ١١٤، والأنساب ٩/ ٢٧٢ - ٢٧٣، واللباب ٢/ ٤٢٢.

قلت: وتحرف اسمه في النسخة الوحيدة لهذه الترجمة (خ) وفي المنتظم إلى: عبد الرحمن. والتصويب من باقي مصادر الترجمة، وهي في السير ١٧/ ٢١٢.

وذو الهيبة، فيُقدِّم عليه الحدَثَ لأجل سَبْقِه، ثم يقرأ الحديث بنفسه، فلا يزال كذلك حتى يبلغ النِّهايةَ من جهده، وهو جالسٌ على حالةٍ واحدةٍ لا يعبَثُ بشيءٍ من أعضائه، ولا يُمازح أحداً، وكان مع أهله على هذا الوصف، وأقام عشرين سنة لم يضحك، وكتب إليه أبو حامد الإسفراييني رُقعةَ شفاعةٍ في رجل يقرأ القرآن، فغضب ورمى الرُّقعة من يده، وقال: لا أقرأ القرآن بشفاعة.

وكانت وفاتُه في شوال، وقد بلغ اثنتين وثمانين سنة، ودُفِنَ في مقبرة جامع المنصور، وكان إماماً زاهداً عابداً ورعاً ثقةً.

محمد بن الحسين[1]

ابن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أبو الحسن، الشريف، الرضي، الموسوي، ولد سنة تسع وخمسين وثلاث مئة، وحفظ القرآن في مدَّةٍ يسيرةٍ بعد أن جاوز ثلاثين سنة، وعرف الفقه والفرائض والنحو واللغة، وقال الشِّعر وترسَّل، وكان عاليَ الهِمَّة، متديِّناً صالحاً ورِعاً، ولقَّبه بهاءُ الدولة برضي الدين أبي الحسين، ووَلِيَ نقابةَ الطالبيين ببغداد، وكان جواداً سمحاً ممَدَّحاً، طاهرَ العِرض، نقياً من الدَّنس، وصنَّف كتُباً كثيرةً، منها: كتابٌ في معاني القرآن، يتعذَّر وجودُ مثله.

وبلغ من ورعه أنه اشترى جزءاً من امرأة بخمسة دراهم، فوجد فيه جزءَ أبي علي بن مُقْلة، فأرسل إلى المرأة وقال: قد وجدتُ جزءاً بخطِّ ابن مُقْلَة قيمتُه خمسةُ دنانير، فإنْ شئتِ خُذي الجزء، وإنْ شئتِ خمسة دنانير. فقالت المرأة: أنا بِعْتُ الجزءَ بما فيه بخمسة دراهم، ولا آخذُ شيئاً. فألحَّ عليها، فأخذتِ الدنانير، ودَعَتْ له.

وقال الخالع: مدحتُ الرضيَّ بقصيدةٍ، فجاءني غلامُه بتسعةٍ وأربعين درهماً، فقلت: لا شكَّ أنَّ الغلام خانني. فلمَّا كان بعدَ أيام اجتزتُ بسوقِ العروس، فرأيتُ رجلاً يقول لآخر: اشترِ هذا الصحن فإنه يساوي خمسةَ دنانير، ولقد أُخرج من دار

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٢٤٦-٢٤٧، والمنتظم ١٥/ ١١٥ - ١١٩، ويتيمة الدهر ٣/ ١٥٥ - ١٧٨ . وينظر السير ١٧/ ٢٨٥.

الرضي فبِيعَ بتسعةٍ وأربعين درهماً، فعلمتُ أني مدَحْتُه وهو مُضيَّقٌ. فباع الصحنَ، وأنفذ ثمنه إليَّ.

قال أبو الحسين بن محفوظ: سمعتُ جماعةً من أهل العلم بالأدب يقولون: إنَّ الرضيَّ أشعرُ قريش. قال: وهذا صحيح؛ قد كان في قريش مَنْ يُجيد القول، إلا أنَّ شِعْرَه قليلٌ، فأمَّا مُجيدٌ مُكثِرٌ فليس إلَّا الرَّضي.

وقال أبو غالب بن بِشْران: رُفِعَ إلى القادر أنَّ الرضيَّ قال أبياتاً وهي: [من الخفيف]

ما[1] مُقامي على الهوانِ وعندي ... مِقْوَلٌ صارمٌ[2] وأنفٌ حَمِيُّ
وإباءٌ مُحَلِّقٌ بي عن الضَّيْـ ... ـمِ كما راغَ طائِرٌ وحْشِيُّ
أيُّ عذرٍ لهُ إلى المجدِ إن ذُلَّ غلامٌ في غِمْدِه المَشْرَفيُّ

ألبَسُ الذُّلَّ في ديارِ الأعادي ... وبِمصرَ الخليفةُ العَلويُّ
مَنْ أبوهُ أبي ومولاهُ مولا ... يَ إذا ضامني البعيدُ القصيُّ
لفَّ عِرْقي بعرقِه سَيِّدا النَّا ... سِ جميعاً محمدٌ وعليُّ
إنَّ خَوْفي في ذلِكَ الرَّبعِ أمْنٌ ... ومُقامي بذلِكَ الوِرْدِ رِيُّ[3]
قد يُذَلُّ العزيزُ ما لم يُشَمِّرْ ... لانطلاقٍ وقَدْ يُضامُ الأبِيُّ
كالذي يقبِسُ[4] الظلامَ وقد أقْـ ... ـمَرَ مِنْ خلفِهِ الهلالُ المُضِيُّ

فلمَّا وقف عليها القادرُ قامَتْ عليه القيامة، واستدعى أبا بكر محمد بن الطيِّب وأنفذه إلى الشريف أبي أحمد والد الرضي، وقال: قُلْ له: قد علمتَ موضِعَكَ مِنَّا ومنزِلتَكَ عندنا، ومعرِفَتَنا بصدق المُوالاةِ منك، وما تقدَّم لك في خدمتنا، وما لَكَ على هذه الدولة من حقوق، وليسَ من الجائز أن تكون على خليقةٍ نرضاها، ويكون ولدُكَ

(١) في (خ) و (ف) والمنتظم: كم، والمثبت من ديوانه ٢/ ٥٧٦.
(٢) في (خ) و (ف) والمنتظم: قاطع، والمثبت من ديوانه أيضاً.
(٣) البيت في الديوان هكذا:
إنَّ ذُلِّي بذلك الجوِّ عِزٌّ ... وأُوامي بذلِكَ النَّقعِ رِيُّ
والأُوام: العطش. المعجم الوسيط (أوم).
(٤) في الديوان: يخبط، والمثبت من (خ) والمنتظم.

على ما يُضادُّها، وقد بلَغَنا أنَّه قال شِعراً هو كذا كذا، فيا ليتَ شعري على أيِّ مُقامِ هَوانٍ وذُلٍّ هو عندنا، وقد فوَّضْنا إليه أجلَّ المراتب والمناصب، وهي نقابة الطالبيين، وإمارةُ الحج، وعساه لو كان بمصر ما خرجَ عن جُملة الرعيَّة، وما رأينا على بلوغ الامتعاض منَّا مَبْلَغه أن تخرج بهذا الولد عن شكواه إليك، وإصلاحِه على يديك. فقال الشريفُ أبو أحمد: واللهِ ما عرفتُ هذا، ولا أنا وأولادي إلا خدمُ الحضرة المقدَّسة، والمعترفون بالحقِّ لها وبالنعمة منها، وكان مِنْ حُكم التفضُّل أن تهذِّبَ هذا الولدَ بإنفاذ مَنْ يحمله إلى الدار العزيزة، ثم تتقدم في تأديبه بما تفعل بأهل الغُرَّة والحداثة.

فقال له محمد بن الطيِّب: الشريفُ يفعلُ في هذا ما تراه الحضرةُ المقدَّسة، فيزول ما خامرها به، فاستدعى الشريفُ ولديه الرضيَّ والمُرتضى، وعاتب الرضيَّ العتاب المستوفى، فقال: ما قلتُ هذه الأبيات ولا أعرفها. فقال: فاكتُبْ خطَّكَ للخليفةِ مثل ما كتبتَ في أمر صاحب مصر، واذكُرْه بما ذكَرْتَه من الادِّعاء في نسبه. قال: لا أفعل. قال: فإنك تكذبني بالامتناع من مثل قولي. فقال: ما أُكَذِّبكَ، ولكني أخاف الدَّيلم، ومَنْ للرَّجُلِ بهذه البلاد من الدُّعاة. فقال: يا لَلهِ العَجَب، تخاف مَنْ هو منكَ على بلادٍ بعيدةٍ وتراقبه، وتسخط مَنْ أنت بمرأًى منه ومَسْمَع، وهو قادرٌ عليكَ وعلى أهلك. وتَرَدَّدَ القولُ بينهما، وغلظَ الرضيُّ الجواب، فصاح أبوه وقام، وحلف أن لا يُقيم معه في بلد، وآلَ إلى أن أنفذَ القادرُ أبا بكر بن الطيب وأبا حامد الإسفراييني، فأخذ اليمينَ على الرضيِّ أنه لم يقُلِ الشِّعرَ المنسوبَ إليه ولا يعرفه، واندرجتِ القصةُ على هذا.

ذكر وفاته:

تُوفِّي في يوم الأحد لستٍّ خَلَوْنَ من المُحرَّم، وحضر الوزير فخرُ الملك وجميعُ الأشراف والقضاة والشهود والأعيان، ودُفِنَ في داره بالكَرْخ، ومضى أخوه المرتضى إلى مشهد موسى ابن جعفر؛ لأنَّه لم يستطِعْ أن ينظر إلى تابوته، وصلَّى عليه فخرُ الملك في الدار مع جماعةٍ أمَّهم أبو عبد الله بن المهلوس العلوي، ثم دخل الناس أفواجاً فصلُّوا عليه، وركب فخر الملك في آخر النهار إلى المشهد بمقابر قريش، فعزَّى المرتضى، وألزمه العَوْدَ إلى داره، ففعل، ورثاه المرتضى بمراثٍ كثيرةٍ، منها: [من الكامل]

يا للرِّجال لِفَجْعَةٍ جَذَمَتْ يدي ... وَوَدِدْتُها ذهبَتْ عليَّ بِراسي
ما زِلْتُ آتي وِرْدَها حتى أتَتْ ... فحسَوْتُها في بعضِ ما أنا حاسي
ومَطَلتُها زمناً فلمَّا صَمَّمَتْ ... لم يَثْنِها مَطلي وطولُ مِكاسي
لا تُنْكِرا من فيضِ دمعي عَبْرةً ... فالدمعُ خيرُ مساعدٍ ومواسي
واهاً لِعُمرِكَ من قصيرٍ طاهرٍ ... ولَرُبَّ عُمْرٍ طالَ بالأرجاسِ

وعاش الرضيُّ ستاً وأربعين سنة.

ومن شعر الرضيِّ قال يرثي والدته: [من الوافر]

أبكيكِ لو نَقعَ الغليلَ بُكائي ... وأقولُ لو ذهبَ المقالُ بدائي
وأعوذُ بالصبرِ الجميلِ مُعزِّياً ... لو كانَ في الصبرِ الجميل عزائي
طَوْراً تُكاثِرُني الدُّموعُ وتارةً ... آوي إلى أُكْرومَتي وحيائي
كم عَبْرةٍ مَوَّهْتُها بأنامِلي ... وستَرْتُها مُتجمِّلاً بردائي
أُبدي التجَلُّدَ للعدوِّ ولو درى ... بتَمَلْمُلي لقد اشْتَفى أعدائي
ما كنتُ أذخَرُ في فداكِ رَغيبةً ... لو كان يرجِعُ ميِّتٌ بفداءِ
لو[1] كان يُدفَعُ ذا الحِمامُ بقوَّةٍ ... لتكدَّسَتْ عُصَبٌ وراءَ لوائي
بِمُدَرَّبين[2] على القِراعِ تفيَّؤوا ... ظِلَّ الرماحِ لكلِّ يومِ لقاءِ
فارقتُ فيكِ تماسُكي وتَجمُّلي ... ونسيتُ فيكِ تعزُّزي وإبائي

ومنها:

كم زفرةٍ ضعُفَتْ فصارَتْ أنَّةً ... تَمَّمْتُها بتنَفُّسِ الصُّعداءِ
قد كنتُ آمُلُ أن أكونَ لكِ الفِدا ... ممَّا ألَمَّ فكنْتِ أنتِ فدائي
وجرى الزمانُ على عوائدِ كَيْدِهِ ... في قلبِ آمالي وعكْسِ رجائي
وتفرُّقُ البُعداءُ بعد تألُّفٍ[3] ... صَعْبٌ فكيفَ تفرُّق القُرَباءِ

---

(١) في (خ) و (ف): أو، والمثبت من ديوانه ١/ ٢٦.
(٢) في (خ) و (ف): بمدرَّعين.
(٣) في الديوان: مودةٍ.

وتداولُ الأيامِ يُبليـنا كما ... يُبلي الرِّشاءَ تطاوُحُ الأرْجاءِ
وكأنَّ طولَ العمرِ روحةُ راكبٍ ... قَضَّى اللُّغوبَ وجَدَّ في الإسراءِ
لوكان مثلَكِ كلُّ أمٍّ بَرَّةٍ ... غنِيَ البنونَ بها عنِ الآباءِ
كيفَ السُّلوُّ وكلُّ موقعِ لحظةٍ ... أثَرٌ لفضلِكِ خالدٌ بإزائي
شهِدَ الخلائقُ أنَّها لنجيبةٌ ... بدليلِ مَنْ وَلَدَتْ من النُّجَباءِ
قد كنتُ آمُلُ أن يكونَ أمامَها ... يَومي وتُشْفِقُ أن تكونَ ورائي
آوي إلى بَرْدِ الظِّلالِ كأنَّني ... لِتَحرُّقي آوي إلى الرَّمضاءِ
يا قبرُ أمْنَحُهُ الهوى وأودُّ لو ... نزفَتْ عليه دموعُ كلِّ سماءِ
لَهفي على القومِ الأُلى غادَرتُهم ... وعليهمُ طبقٌ من البَيْداءِ
صُوَرٌ ضنَنْتُ على العيونِ بِلَحْظِها ... أمسيتُ أُوقِرُها[1] من البَوغاءِ[2]
قَرُبَتْ ضرائحُهم على زُوَّارهم ... ونأَوا عن الطُّلَّابِ أيَّ تنائي
معروفُكِ السَّاري[3] أنيسُكِ كُلَّما ... ورَدَ الظلامُ بِوَحْشةِ الغَبْراءِ
وضياءُ ما قَدَّمْتِهِ من صالحٍ ... لكِ في الدُّجى بَدَلٌ من الأضواءِ
كَمْ آمِرٍ لي بالتَّصبُّرِ هاجَ لي ... داءً وقَدَّرَ أنَّ ذاكَ دوائي
إنَّ الذي أرضاهُ فِعْلُكِ لا يَزَلْ ... تُرضيكِ رحمتُه صباحَ مساءِ

من أبيات.

وقال أيضاً: [من الخفيف]

حيِّ بين النَّقا وبينَ المُصَلَّى ... وقَفاتِ الركائبِ الأنضاءِ
وَرَواحَ الحجيجِ ليلةَ جَمعٍ ... وبجَمْعٍ مجامِعُ الأهواءِ
وتَذَكَّرْ عنِّي مُناخ مَطِيِّي ... بأعالي مِنًى ومَرْسى خِبائي

وقال: [من الطويل]

ولمَّا أبى الأظعانُ إلَّا فراقَنا ... ولِلْبَينِ وعدٌ ليس فيه كِذابُ

(١) أوقرها: أحملها. المعجم الوسيط (وقر).
(٢) البوغاء: التراب. المعجم الوسيط (بوغ).
(٣) في الديوان: السامي.

رجعتُ ودمعي جازعٌ من تجلُّدي ... يـرومُ نـزولاً لـلـجـوى فـيَـهـابُ
وأثقلُ محمولٍ على العينِ ماؤها ... إذا بـانَ أحـبـابٌ وعَـزَّ إيـابُ

وقال من أبيات: [من الطويل أيضاً]

هل الطَّرْفُ يُعطي نظرةً من حَبيبِهِ ... أمِ القلبُ يَلقى روعةً[1] من وَجيبِهِ[2]
وهَلْ لِلَّيالي عَطْفَةٌ بعد نَفرةٍ ... يعودُ فتُلهي ناظراً عن غروبِهِ
أحِنُّ إلى نورِ اللِّوى في بِطاحِهِ ... وأَظْما إلي ريَّا اللِّوى في هبوبِهِ
وذاكَ الحِمى يغدو عليلاً نسيمُهُ ... ويُمسي صحيحاً ماؤُهُ في قليبِهِ

وقال أيضاً: [من الطويل]

أحبُّ الثَّرى النَّجديَّ من أجْرَعِ[3] الحِمى ... كأنِّي لِمَنْ بالأجْرَعِينِ نَسيبُ
إذا هبَّ عُلْويُّ النَّسيمِ رأيتَني ... أَغُضُّ جُفوني أنْ يُقالَ مُريبُ

وقال: [من الكامل]

ولقد مررتُ على ديارِهمُ ... وطُلُولُها بيدِ البِلى نَهْبُ
فوقفتُ حتى عجَّ من عجبٍ[4] ... نِضوي[5] ولَجَّ بِعَذْليَ الرَّكْبُ
وتلفَّتَتْ عيني فمُذْ خَفِيَتْ ... عنِّي الطُّلولُ تلَفَّتَ القَلْبُ

قال المصنف رحمه الله تعالى: حكى لي مؤيَّدُ الدين وزيرُ الخليفة المستعصم ببغداد في سنة أربع وأربعين وست مئة، قال: مَرَّ رجلٌ بالكَرْخ على دارٍ خراب، فوقف عليها، وتمثَّل بهذه الأبيات، فقال له بعضُ الجيران: أتدري لمن هذا الشعر؟ قال: لا واللهِ. قال: هذا للرضيِّ، وهذه دارُه. فقال: [من مجزوء الرمل]

مَنْ مُعيدٌ ليَ أيَّا ... مي بجَزْعِ السَّمُراتِ
وليالـيَّ بِجَمْعٍ ... ومِنًى والجَمَراتِ

---

(١) في الديوان: راحةً.

(٢) الوجيب: تحرك القلب تحت أبهره. اللسان (بهر).

(٣) الأجرع: المكان الواسع الذي فيه حزونة وخشونة. اللسان (جرع).

(٤) هذا الشطر في وفيات الأعيان ٤/ ٤١٧، والوافي بالوفيات ٢/ ٣٧٦، وفي غيرهما من المصادر:
فبكيتُ حتى ضَجَّ من لغَبٍ.

(٥) النِّضْو: الثوب الخَلَق. اللسام (نضو).

يـــا وقـــوفـــاً مـــا وقـــفْـــنَ ... فـــي ظِـــلالِ الـــسَّـــلَـــمـــاتِ
تـــتـــشـــاكـــى مـــا عـــنـــانـــا ... بـــكـــلامِ الـــعَـــبَـــراتِ
آهِ مِـــنْ جـــيـــدٍ إلـــى الـــدَّا ... رِ طـــويـــلِ الـــلَّـــفَـــتـــاتِ
وغـــرامٍ غـــيـــرِ مـــاضٍ ... بـــلـــقـــاءٍ غـــيـــرِ آتِ
فـــســـقـــى بـــطـــنَ مِـــنًـــى والْـــ ... ـخَـــيْـــفَ صَـــوْبُ الـــغـــادياتِ
غـــرسَـــتْ عـــنـــدي غـــرس الْـــ ... ـشـــوقِ مَـــمْـــرورَ الـــجَـــنـــاةِ
أيـــنَ راقٍ لـــغَـــرامـــي ... وطـــبـــيـــبٌ لِـــشَـــكـــاتـــي[1]

وقال: [من الكامل]

ذنْبي إلى البُهمِ الكوادنِ[2] أنَّني الْطُّـ ... ـرفُ[3] المُطَهَّمُ[4] والأغرُّ الأقرَحُ[5]
من خِيفَ خَوْفَ اللَّيثِ خُطَّ له الزُّبَى[6] ... وَعَوَتْ لِشُهرَتِهِ الكلابُ النُّبَّحُ
يولونَني خُزْر[7] العُيونِ لأنَّني ... غَلَّستُ في طلبِ العُلا وتَصبَّحوا
وجَذَبْتُ بالطِّوَلِ[8] الذي لم يَجْذِبوا ... ومَتَحْتُ بالغَرْبِ[9] الذي لَمْ يَمْتَحوا
لو لَمْ يكُن لي في العيونِ مهابةٌ ... لَمْ يطعنِ الأعداءُ فِيَّ ويَقْدَحوا
نظروا بعينِ عداوةٍ لو أنَّها ... عينُ الرِّضا لاستحسنوا ما اسْتَقْبحوا

وقال أيضاً: [من الطويل]

خُذي نفَسي يا ريحُ مِنْ جانبِ الحِمى ... فلاقي بها ليلاً نسيمَ رُبا نَجْدِ
فإنَّ بذاك الجوِّ حبًّا[10] عهِدْتُهُ ... وبالرَّغم منِّي أن يطولَ بهِ عَهْدي

---

(١) الأبيات في ديوانه ١/ ٢١٨.

(٢) في الديوان ١/ ٢٥٩: الكواذب. والكوادن جمع كودن: وهو البطيء الثقيل في مشيته. المعجم الوسيط (كدن).

(٣) الطِّرف: الكريم. المعجم الوسيط (طرف).

(٤) المُطهَّم: التام من كل شيء. المعجم الوسيط (طهم).

(٥) الأقرح: هو الذي في جبهته قُرحة، أي: بياض بمقدار الدرهم. المعجم الوسيط (قرح).

(٦) الزُّبى: جمع زُبَية، وهي حفرة تحفر للأسد.

(٧) الخَزر: ضيق العين وصِغَرها. الصحاح (خزر).

(٨) الطِّوَل: الحبل تُربط به قائمة الدابة. معجم متن اللغة (طول).

(٩) مَتَحَ الماء: نزعه واستخرجه، والغَرْب: الدلو العظيمة. المعجم الوسيط (متح) و(غرب).

(١٠) في الديوان ١/ ٣٨٩: فإنَّ بذاك الحيِّ إلْفاً.

ولولا تداوي القلبِ من ألم الجَوى ... بِذِكْرِ تلاقينا قَضيتُ من الوَجْدِ
ويا صاحِبيَّ اليومَ عُوجا لِتسألا ... رُكيباً من الغَوْرينِ أنضاؤهم تخدي
عن الحيِّ بالجرعاءِ جرعاء مالكٍ ... هل ارتَبعوا واخضرَّ واديهمُ بَعْدي
شممتُ بنجدٍ شِيْحةً حاجِريَّةً ... فأمْطَرْتُها دَمْعي وأفرَشْتُها خَدِّي
ذكرتُ بها رِيَّ الحبيبِ على النَّوى ... وهيهاتَ ذا يا بُعْدَ بينهما عِندي
وإني لَمجلوبٌ إلى الشَّوقِ كُلَّما ... تنفَّسَ شاكٍ أو تألَّم ذو وَجْدِ
تعرَّض رسْلُ الشوقِ والرَّكبُ هاجدٌ ... فتُوقِظني من بينِ نُوَّامِهم وَحْدي
وما شَرِبَ العُشَّاقُ إلا بَقِيَّتي ... وما وَرَدوا في الحبِّ إلَّا على وِرْدي

وقال: [من البسيط]

يا قلبُ ما أنتَ من نجدٍ وساكنِهِ ... خلَّفْتَ نَجْداً وراءَ المُدْلجِ السَّاري
أهفو إلى البانِ تعلو لي خمائلُه[1] ... من الحِمى في أُسَيْحاقٍ وأطْمارِ[2]
تفوحُ[3] أرواحُ نجدٍ من ثيابهِمُ ... عند القدومِ لقُرْبِ العهدِ بالدَّارِ
يا راكبانِ قِفا بي واقضيا وَطَري ... وحدِّثانِيَ عن نجدٍ بأخبارِ
هَلْ رُوِّضَتْ قاعةُ الوعساءِ أمْ مُطِرَتْ ... خميلةُ الطَّلْحِ ذاتِ البانِ والغارِ
أم هَلْ أبيتُ ودارٌ عند كاظمةٍ ... داري وسُمَّارُ ذاكَ الحيِّ سُمَّاري
فَلَمْ يزالا إلى أن نَمَّ بي نفَسي ... وحدَّثَ الركبَ عنِّي دمعيَ الجاري

وقال أيضاً: [من الرجز]

يا نفسُ إنْ عَنَّ المُرادُ فخُذي ... إن كنتِ يوماً تأخذينَ أو ذَري
نُهزةُ مجدٍ كنتُ في طِلابِها ... لمثلِها يَنْصُفُ ساقي مئزري
وكيفَ بالعيشِ الرَّطيبِ بعدَما ... حَطَّ المشيبُ رحْلَهُ في شَعَري
عُمْرُ الفتى شبابُهُ وإنَّما ... آونةُ الشَّيبِ انقِضاءُ العُمُرِ

---

(١) في الديوان ١/ ٥١٧: أهفوا إلى الركب يعلو لي ركابُهُمُ.

(٢) أُسيحاق؛ تصغير إسحاق، وهو من السَّحْق، و السَّحْق من الثياب: الخَلَقُ البالي. المعجم الوسيط (سحق). وأطمار؛ جمع طِمْر، وهو بمعنى أُسيحاق.

(٣) في الديوان: تضوع.

ألا صديقٌ في الزَّمانِ ماجدٌ ... أشكو إليه عُجَري وبُجَري
يَعتِقُ من رِقِّ الهوى حُشاشةً ... عجَّتْ من الضَّيم عجيجَ الأدْبَرِ[1]
ما أنا إلَّا النَّصْلُ مغموداً ولَوْ ... جَرَّدني الرَّوعُ لَبانَ جوهري
دونَكَ فانْظُرْ إن جهِلْتَ مَخْبري[2] ... فرُبَّما دَلَّ عليَّ منظري
يا قدمي دونَكَ مَسْعاةَ العُلى ... قد ضَمِنَ الإقبالُ أن لا تَعثِري

وقال: [من الطويل]

ألا هَلْ إلى ظِلِّ الأثيلِ تخلُّصٌ ... وهَلْ لِثَنيَّاتِ الغُوَيرِ طُلوعُ
وهَلْ لِلياليِنا الطِّوالِ تَصَرُّمٌ ... وهَلْ لِلَيالينا الْقِصارِ رُجوعُ[3]

وقال: [من الكامل]

لا يُبْعِدِ اللهُ الذين نَأَوا ... وقَفَ الغرامُ بنا وما وقفوا
لم أنْسَ موقِفَنا وموقَفَهمْ ... يومَ النَّوى ودموعُنا تَكِفُ
حبلٌ غدا بأكُفِّنا طَرَفٌ ... منهُ وفي أيدي النَّوى طَرَفُ
هَلْ حُسْنُ ذاكَ العهدِ مُرْتَجَعٌ ... أمْ طيبُ ذاكَ العيشِ مؤتنَفُ
أم هلْ يُباحُ الوِرْدُ ثانيةً ... وَيَلَذُّ ذاك الماءَ مُرْتَشِفُ[4]

وله: [من الخفيف]

أيُّها الرَّائحُ المُغِذُّ تَحَمَّلْ ... حاجةً للمتيَّمِ المشتاقِ
أقرِ عنِّي السلامَ أهلَ المُصلَّى ... فبلاغُ السَّلامِ بعض التلاقِ
وإذا ما مررتَ بالخَيْفِ فاشْهَدْ ... أنَّ قلْبي إليهِ بالأشواقِ
وإذا ما سُئِلْتَ عنِّي فقُلْ: نِضْـ ... ـوُ هَوًى ما أظنُّه اليومَ باقِ
ضاع قلبي فانشُدْه لي بينَ جَمْعٍ ... ومنًى عندَ بعضِ تِلْكَ الحِدَاقِ

---

(١) البيت في الديوان ١/ ٤٧٩:

يَعتِقُ من رقِّ الهوانِ عاتقاً ... عَجَّ من الضَّيمِ عجيجَ الموقَرِ

(٢) الشطر في الديوان ١/ ٤٧٧: دونك فانظري فإن جهلتني.

(٣) البيتان في ديوانه ١/ ٦٥٦ .

(٤) الأبيات في ديوانه ٢/ ٢٢ - ٢٣.

وابْكِ عنِّي فطالَما كنت من قَبْلِ أُعيرُ الدُّموعَ للعُشَّاقِ[١]

وقال أيضاً: [من مجزوء الرمل]

اشْتَرِ العِزَّ بما بِيـ عَ فما العِزُّ بِغالِ
بالقِصارِ البيضِ[٢] إن شِئْـ ت وبالسُّمْرِ العوالي
ليس بالمغبونِ عقلاً من شرى عِزًّا بمالِ
إنَّما يُدَّخَرُ المَا لُ لحاجاتِ الرِّجالِ
والفتى مَنْ جَعَلَ الأَمْـ والَ أثمانَ المعالي

وقال: [من الطويل]

وإنِّي إذا اصْطَكَّتْ رِقابُ مَطِيِّكُمْ وثَوَّرَ حادٍ بالرفاقِ عجولُ
أُخالِفُ وَضْعَ الرَّاحتينِ على الحشا وأنظُرُ أنِّي مُلْتَمٍ فأميلُ[٣]

وقال [من الطويل]:

مُقيمٌ بأطرافِ الثَّنايا صبابةً أُسائِلُ عن أظعانِكُمْ كُلَّ قادِمِ
وأسألُ خَفَّاقَ النسيمِ إذا حدا من الغرب أعناقَ المَطيِّ الرَّواسِمِ
وأستشرفُ الأعلامَ حتى تَدُلَّني على طِيبِها مرُّ الرِّياحِ النَّواسِمِ
وما أنسُمُ الأرواحَ إلَّا لأنَّها تمرُّ على تلك الرُّبا والمعالِمِ[٤]

وقال أيضاً [من الطويل]:

وليسَ الفتى إلَّا الذي إن رأيتَهُ رأيتَ غنيَّ النَّفْسِ في ثوب مُعْدِمِ
وفي نظري عنوانُ ما بين أضلُعي ورُبَّ لَحاظٍ نائبٌ عن تَكَلُّمِ
ومن جعل القلبَ الجريء أمامَهُ[٥] فكلُّ ظلامٍ عنده غيرُ مُظلِمِ

---

(١) الأبيات في ديوانه ٢/ ٧٩.

(٢) في الديوان ٢/ ٢٤٤: الصُّفر.

(٣) البيتان في ديوانه ٢/ ٢٢١ والمُلتمي من لَثَمَ الشيء، أي: ضَرَبه معجم متن اللغة ٥/ ١٤٨ .

(٤) البيتان الأخيران في ديوانه ٢/ ٤٣١.

(٥) في الديوان ٢/ ٤٠١: وليله.

لا يُذكَرُ الرَّمْلُ إلَّا حَنَّ مُغتَرِبٌ ... لهُ بذي الرملِ[1] أوطارٌ وأوطانُ
تهفو إلى البانِ من قلبي نوازِعُهُ ... وما بي البانُ بَلْ مَنْ دارُهُ البانُ
أسُدُّ سمعي إذا غنَّى الحَمامُ بِهِ ... أَلاَّ يُهَيِّجَ سِرَّ الوَجْدِ إعلانُ
إذا تلفَّتُّ في أطلالِها ابتدرَتْ ... للعينِ والقلبِ أمواهٌ ونيرانُ

وقال: [من البسيط]

يا طائرَ البانِ غِرِّيداً على فَنَنٍ ... ما هاجَ نَوْحُكَ لي يا طائرَ البانِ
هل أنتَ مُبْلِغُ مَنْ هامَ الفؤادُ بِهِ ... إنَّ الطليقَ يؤدِّي حاجةَ العاني
جِنايَةً ما جناها غيرُ مُقْلَتِهِ ... يومَ الرَّحيلِ وَوَاشوقا إلى الجاني
لولا تذكُّرُ أيامي بذي سَلَمٍ ... وعندَ رامةَ أوطاري وأوطاني
لَما قدَحْتُ بنارِ الشَّوقِ في كبدي ... ولا بَلَلْتُ بماءِ العينِ أجفاني[2]

وقال: [من الطويل]

فيا بانتَي بطنِ العقيقِ سُقِيتُما ... بماءِ الغَوادي بعدَ ماءِ شُؤوني
أُحِبُّكما والمستجِنَّ بطَيبةٍ ... مَحبةَ ذُخْرٍ باتَ عند ضنينِ[3]

وقال: [من الطويل]

أقولُ لركْبٍ رائحينَ لعلَّكُمْ ... تَحُلُّونَ من بعدي العقيقَ اليمانيا
خُذوا نظرةً منِّي فلاقُوا بِها الحِمى ... ونَجْداً وكُثبانَ اللِّوى والمَطاليا
ومُرُّوا على أبياتِ حيٍّ برامةٍ ... وقولوا لديغٌ يبتغي اليومَ راقيا
وقولوا لجيرانٍ على الخَيْفِ من منًى ... تُراكُمْ مَنِ اسْتبدلْتُمُ بجواريا
ومَنْ وردَ الماءَ الذي كنتُ وارداً ... لهُ ورعى العُشبَ[4] الذي كنتُ راعيا
فوالَهفَتي كَمْ لي على الخَيْفِ شهقةً ... تذوبُ عليها قطعةٌ من فؤاديا

(١) في (خ): البان، والمثبت من الديون ٢/ ٤٤٩.
(٢) الأبيات في ديوانه ٢/ ٤٧٥.
(٣) البيتان في ديوانه ٢/ ٤٨٥.
(٤) في ديوانه ٢/ ٥٧٠: الروض.

تـرحَّـلْـتُ عـنـكُـمْ لـي أمـامـي نـظـرةٌ وعـشـرٌ وعـشـرٌ بَـعْـدَكُـمْ مِـنْ[1] ورائـيـا

وقال أيضاً: [من الطويل]

فعـنـدي زفـيـرٌ مـا تَـرقَّـى إلـى الـحـشـى وعـنـدي دمـوعٌ مـا بَـلـغْـنَ الـمـآقـيـا
ولا خـيـرَ فـي الـدنـيـا إذا كـنـتُ حـاضـراً وكـان الـذي يـغـرى بـهِ الـقـلـبُ نـائـيـا
ومـا شِـبْـتُ مـن طـولِ الـسِّـنـيـنَ وإنَّـمـا غُـبـارُ قـضـايـا الـدَّهـرِ غـطَّـى سـوادِيـا
ومـا كـلُّ مَـنْ أومـى إلـى الـعـزِّ نـالَـهُ ودونَ الـعُـلـى ضـربٌ يُـدَمِّـي الـنَّـواصـيـا[2]

ومن نثره: وما أنا إلَّا غرسُه الذي سقاه ماء الكرم، فأثمر الكَلِم، وحسامُه الذي حَلاه، فأهدى إليه من حُلاه.

السنة السابعة وأربع مئة

فيها في يوم الجمعة سابعَ مُحرَّم توجَّه فخر الملك من بغداد إلى الأهواز، وقُبِضَ عليه، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها كانت وقعةٌ بين سلطان الدولة أبي شجاع وأخيه أبي الفوارس، فانهزم أبو الفوارس بعد ما دخل شيراز وملَكَها.

قال هلال بن الصابئ: في يوم الاثنين سابع مُحرَّم خرج سلطان الدولة من الأهواز لقتال أبي الفوارس، وقدَّم بين يديه الدَّيلمَ والعساكرَ، وكان أبو الفوارس في شيراز، فخرجَ منها لسبعٍ بقينَ من ربيع الآخر، ولم يتبَعْه أحدٌ من عسكر سلطان الدولة، ودخلَ سلطانُ الدولة البلدَ، وقصد أبو الفوارس كرمان، وتسلَّل إليه الدَّيلم، وكان سلطانُ الدولة قد استوزَرَ الأوحَدَ أبا محمد، فأساء إلى الدَّيلم، وقبض عليهم، فمضَوا إلى أبي الفوارس، وبعث الأوحدُ الجواسيسَ خلفَه، فعادوا، وأخبروه أنَّه[3] أخذَ طريقَ إصْطَخر على ضعفٍ وقلَّةٍ، فأشار الأوحدُ بتجريد عساكر خَلْفَه، فقال سلطان الدولة: أنا أتبَعُه. فخرج من شيراز، وبلغ أبا الفوارس، فقيل له: ارجِعْ إلى شيراز، فإنَّ أموال

(١) في الديوان: نحوكم لي.
(٢) الأبيات في ديوانه ٢/ ٥٨٦-٥٩٠.
(٣) في (خ): أنهم، والمثبت من (ف).